المسرح بين الفن والتشكيل

إعداد : د.أحلام معمري

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

كلية الآداب واللغات/ قسم اللغة والأدب العربي

مكان العمل: جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

تمهيـــــد:

بدأت علاقة الإنسان بالمسرح قبل التاريخ، وتجلى ذلك في الرسم عند الفراعنة، حيث ظهرت حالات مسرحية راقيه بدأت بتكوين أماكن خاصة للهو والمرح، حيث الأعمال البهلوانية في جو مسرحي مثير، يتداخل فيه التشكيل مع الألوان والإنارة، فبدى المكان كوحدة متكاملة تثير الإعجاب. وقام الإغريق ببناء مسارح ضخمة في الهواء الطلق، وأثثوها بأقفال وحبال وإنارة وأضفوا على المسرح رؤية جمالية، وبدأ المسرح يأخذ حيزا في الحياة العامة، ومن هنا يتضح أن علاقة التشكيل مع المسرح أصبحت جدلية وتكمل إحداهما الأخرى. ثمة علاقة جدلية بين التشكيل والمسرح مترابطة بتناغم وإيقاع: تعود العلاقة ما بين التشكيل والمسرح إلى زمن بعيد، يمكن تلمسه منذ نشأة المسرح الإغريقي والروماني في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وفي عصر النهضة برز الاهتمام جليا بالمعمار المسرحي، أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فصار للمنظر المسرحي استقلاله مع بروز فن الأوبرا، ومع ظهور التعبيرية كمدرسة فنية، ونشأتها التي ارتبطت بالحركتين التكعيبية والمستقبلية " استخدام الأقنعة وتوظيفها بشكل تعبيري، وبروز التكعيبية في التكوينات الديكورية، وبناء فضاء المسرح"[121] .

وشهدت بداية مرحلة الستينات نقطة التقاء بين المسرح والتشكيل، فتداخلت العلاقة مع الفنون الحديثة، مروراً بظهور المفاهيمية وفن التشكيل بالجسد، والفنون الأدائية عموما فلم تعد العلاقة قاصرة على الديكور والملابس والملصقات الدعائية، بل تجاوزت هذا، إلى علاقة وطيدة دخل فيها التشكيل عمق الفن المسرحي.

هناك علاقة جذرية ما بين المسرح والتشكيل منذ ظهور مصطلح التعبيرية في الفن التي بدأت في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر وهذا كان مقدمة لظهور كثير من الأفكار التي تجسدت في الدادائية التي انطلقت بعد الحرب العالمية الأولى ومن بعدها السيريالية، إن الفن التعبيري في المسرح قد تجسد في ملامح كثيرة، وهو الآن يعتمد على التشخيص، وأكثر تواصلاً مع الجمهور.

بين المسرح والتشكيل تاريخيا:

وبالنظر إلى مسيرة المسرح والتشكيل نجد أنهما متلازمين والعلاقة متينة ومتبادلة بينهما، فمنذ المسرح الإغريقي والروماني نجد الحضور التشكيلي من خلال الحائط المعماري ذو الثلاث فتحات، واستخدام بعض المناظر التي قام بها (فيترفيوس) في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، وفي القرن الخامس قبل الميلاد شرع فنانو المسرح في استخدام الجزئيات المرسومة والمطلية مثل الصخور والمناظر المرسومة على ستائر الخيش، ولقد رسمت هذه القطع بأسلوب بدائي بسيط. و في العصور الوسطى سجلت العلاقة بين التشكيلي والمسرح فتوراً وذلك لهيمنة الكنيسة على المسرح في سبيل تحقيق أغراضها الخاصة.

وفي عصر النهضة الأوربي كان الاهتمام بالمعمار المسرحي، وكانت محاولات استخدام الإضاءة الملونة على يد (سيريليو) بوضع زجاجات بها سائل ملون يوضع أمام الشموع ومن خلفها حواجز لامعة تعكس الضوء على السائل الملون فينفذ من خلاله ليسقط على المنظر معطياً قيمة فنية جديدة لم يسبق التوصل أليها، وكانت إضافة تشكيلية لفراغ المسرح الذي أصبح بهذا الضوء الملون يمتلئ بمساحات ضوئية ملونة بجانب القيم الأخرى التي توصل أليها سيريليو من خلال المنظور الهندسي.

وبعد ذلك انتشرت في أوروبا فن المناظر من خلال أعمال أفراد عائلة بيبينا الذين يعدون واضعي أسس فن المناظر، وامتازت أعمالهم بالطرز المعمارية الدقيقة والقرب من الواقع وتأثيرات المنظور التي استخدمت كوسيلة للإيهام بالواقع على المسرح. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر، أخذت المناظر المسرحية استقلالها وملامحها الخاصة بها، خاصة عندما ازدهرت العروض المسرحية بفنون الأوبرا، التي استفاد منها فنانو المناظر استفادة عظيمة. واستمر الاهتمام بالمناظر المسرحية حتى قام قسطنطين ستانسلافسكي بتنفيذ جدران صلبة بدلا من الستائر المشدودة،وكان المسرح آنذاك واقعياً طبيعياً في معظمه وانحصرت عبقرية الفنانين في تصوير أشياء تحدث يومياً بطريقة فوتوغرافية، و بعد ذلك كان للمخرج النمساوي الأصل "راينهات" الفضل في خلق اتجاه جديد بخروجه عن المألوف والابتعاد عن شكل القاعة النمطية والستارة التي تفتح وتغلق في كل مشهد، وصاحب هذا تغييرا في مفهوم وحدات الديكور فأخذت شكلا جديداً ومعان معاصرة ذات دلالات توحي ولا تقلد وتحاكى.

وبعد ذلك ارتبطت التعبيرية في نشأتها الأولى بالحركات التكعيبية والمستقبلية في الرسم لأن الهدف الأساسي هو الغوص تحت السطح واكتشاف ما وراء الظاهري،وكان بيراندوللو من أمهر من تصدوا لحل هذه المشكلة مسرحياً باستخدام الأقنعة أو الجنون الحقيقي و المفتعل. وتوظيفها بشكل تعبيري، كما حضرت التكعيبية في التكوينات الديكورية وبنائية فضاء المسرح.

ومن التيارات الجديدة التي ظهرت في المسرح في أوائل القرن العشرين، واتخذت التشكيل وسيلة في الخروج عن الواقعية والمألوف كانت حركة المستقبلية، رغم أنها لم تعش طويلاً،

ورغم أن الحركة المستقبلية ترتبط أساساً في أذهان الكثير

بالفنون التشكيلية إلا أننا نجد روادها الأوائل قد اهتموا اهتماماً

كبيراً بالدراما المستقبلية، حيث نجد كلاً من الفنان التشكيلي جياكومو بالا والفنان التشكيلي أمبرتو بوتشيني قد قاما بكتابة العديد من النصوص المسرحية التي أصبحت لها الآن قيمة تاريخية كبيرة رغم قيمتها الفنية المحدودة. ومع ظهور ما يسمى بالحد الأدنى من الفن أو(المينماليه) في بداية الستينات وجد العديد من الفنانين فيه وفي الأعمال التشكيلية التي أفرزها نقطة تقاطع واضحة تصل مابين المسرح والفن التشكيلي، وكان من بين هؤلاء مسرحيون مثل مايكل كيربي وروبرت ويلسون، والفنان التشكيلي فيتو اكونشي الذي يتخصص في الرسم على الجسد، إلى جانب مبدعين في الآداء التشكيلي الحي مثل جون جوناس. ولقد تداخلت التجربة التشكيلية مع المسرحية من خلال الفنون الحديثة وما بعدها والفنون المفهومية وفن التشكيل بالجسد وفن الأرض والفنون الأدائية عموما. ...حتى المتلقي الذي كان يجلس ينظر إلى المسرح والمشاهد تدور أمامه، أصبح كما في المعارض التشكيلية يتنقل بين التشكيلات المسرحية، بل أصبح مشاركا ومتفاعلا ومعدلا حتى في ديكور وأحداث المسرح. ونتيجة لتطور العلاقة بين الفن التشكيلي والمسرح (والتي لم تعد قاصرة على الديكور والملابس والملصقات الدعائية بل تجاوزت ذلك بكثير من خلال العلاقة الوطيدة والتي دخل التشكيل فيها إلى أعماق الفن المسرحي، ظهر في الستينات ما يعرف بالسينوغرافيا....

فماهي السينوغرافيا؟

السينوغرافيا هي فن تنسيق فضاء المسرح والتحكم في شكله بغرض تحقيق أهداف العرض المسرحي "أما الترجمة الحرفية لها فتعني الخط البياني للمنظر المسرحي"[122]، ومن أهداف السينوغرافيا تطويع الفنون التشكيلية والجميلة والتطبيقية بما ضمته من فنون المعمار والمناظر والأزياء المسرحية وطرق استغلالها في الفضاء المسرحي، مما أعطى وجهاً جديدا لتعامل كل هذه الفنون مع الكلمة والعبارة والمنولوج والحوار.. ومع الدراما بصفة عامة، حتى يصبح تأثير الفنان التشكيلي في المسرح فعالا ومؤثرا في النهاية.

يطلق مصطلح السينوغرافيا على العلم الذي يدرس جميع العناصر التي تشكل العرض المسرحي من تمثيل، إضاءة، ديكور، مناظر وغيرها، مشيراً إلى أن كلمة سينوغرافيا هي كلمة من أصل يوناني، وهي كلمة تتكون من مقطعين:

سكيني ومعناها مسرحي، وجرافو وتعني يكتب أو يصف. وعليه يكون المعنى الفعلي للكلمة هو وصف شيء على خشبة المسرح.

"وأكد دسمال الكواري وجود علاقة بين السينوغرافيا والفن التشكيلي، حيث إن السينوغرافيست هو مصمم وفي نفس الوقت يستخدم أدوات الفنان التشكيلي ونظريات، وربما يتفوق في موضوع المنظور والمجسمات والكتلة، وتوظيف الاضاءة والاطار العام للمنظر، ولكن في النهاية كل المدارس تتشابه عندما يتم اعتماد مدارس فنية معينة"[123].

في مجلة التشكيلي (حوار وراي) يقول الفنان التشكيلي محمد يوسف، وبعنوان "هربت الى الطبيعة بعد ان خنقني الجدار": " انا محظوظ لاسباب كثيرة، فالتشكيل يحتوي على صور متحركه أجسدها في شكل أحاول ان اجعله يبدو متحركا، أما المسرح فأشياء في العقل جامدة أحركها على خشبة المسرح، فتركيبات الشخصيات وقراءتي للسينوغرافيا في المسرح، وتكوينات الديكور وشكل الإضاءة وتأثيرها والمؤثرات الخارجية والبيئة المحيطة بالمسرح، كلها موجودة في الفن التشكيلي، علاقتي بالممثل وعلاقة الممثل بقطع الديكور من حوله، كل هذا فن متحرك.

المسرح دائما يحرك فكرة على خشبة المسرح، هناك علاقة بين مرسل ومستقبل الشيء نفسه في التشكيل، العمل الذي لم يستطع الوصول إلى قلب المتلقي عن طريق بصره والمخزون الثقافي لديه وما يمتلك من تراكمات حياتية، يصبح عملا فاشلا، إما فشل في الفكرة أو الديكور أو أي عنصر من عناصر المسرح، التشكيل والمسرح صورتان متكاملتان تماما كما أعتقد لأسباب كثيرة، فلقد دخلنا في الألفية الثالثه وذابت التقسيمات الفنية، فلم يعد هناك فن تأثيري أو سريالي اللهم إلا الأعمال المتحفيه، ولكن، هل تنتهي مع نهاية المدارس ؟ وما الذي يمكن إضافته لها ؟ أنا لن أكون دافنشي، أو مايكل أنجلو، أو جيكوميتي جديد وأتصور أننا لو كنا وقفنا عند هؤلاء الفنانين لما كانت هناك فنون جديدة وأجهزه إعلامية جديدة، لذا فإن المسرح والفن التشكيلي هما اللذان يجددان كل الأشياء، فالوعي اختلف والظروف الانسانية تغيرت، فأنا تعلمت في ظروف أقل بكثير من الظروف التي يتعلم فيها ابني، وكذلك الأخلاقيات تغيرت، ولو لم يكن هناك صراع فكري بين جيلين لما تم تطور للفنون، نعود مرة ثانية إلى الفن وتعريفه الشامل، هو إبداع وابتكار ومحاكاة ولغة استخدمها الإنسان للتعبير عن ذاته وعن أحاسيسه الداخلية بشكل يسمو إلى الجمال والإبداع، وقد أثبتت الدراسات الحديثه، بأن علاقة الفنون(التشكيلية والمسرحية والموسيقية) هي علاقة وجدانية وملحمية إذا اتحدت مع بعضها نتج عنها فعل متحرك ومحرك أيضا لأحاسيس الإنسان ولا سيما في الفنون المسرحية، وكذا الحال في الموسيقى والتشكيل، إلا أن هذا الفعل والصورة المثالية لهذه الإبداعات الفنية، لا تأتي إلا من خلال تفاعل الإنسان وبما يحسه ويعكسه من خلال شكل يمتلك قيمة جمالية وإبداعيه وبموجب قيمة نسبوية فلسفية وجمالية وفكرية تعبر عن الخلفية الثقافية للفنان، ففي مسرحية الشيخ والقضية (وهي من تأليفي وإخراجي) والتي عرضت من على مسرح بغداد في العراق، كان الديكور من تصميم الفنان التشكيلي الرائد الأستاذ سامي البازي، حيث تمازج الألوان في هذا التصميم الرائع ساعد على

تجسيد الجو العام لمضمون المسرحية، إضافة إلى هذا جاء تصميم الديكور عن فهم وإدراك لفكرة المسرحية، وساعدتني أيضا على تجسيد الرؤيا الإخراجية، من خلال خلق علاقة المجاميع مع الديكور وإبراز جمالية التكوينات من خلال هذه العلاقة، وهذا ما جاء إلا من خلال تلاحم الوسيلتان التعبيريتان للفن التشكيلي (في تصميم الديكور) وكذالك الصورة المتحركة من خلال الشخوص المتحركة في المسرح .

إذن لدينا هنا لوحتان متجانستان مشتركتان ومرئيتان في العرض المسرحي:

- ✓ أولا:الفن التشكيلي والثابت بوضعيته والمتوازن المنظور والمحرك لأحاسيس المتلقي وتهيئته للمعايشة مع الجو العام للعرض المسرحي، إضافة الى هذا باستطاعة الفنان التشكيلي أن يجسد فكرة ومضمون المسرحية من خلال بعض الحركات الشكلية والرمزية والتي يبرزها من خلال تصميم الديكور.
- ✓ ثاني: الفن المسرحي بلوحته المتحركة الشخوص وفق مامرسوم للحركة الإخراجية في العرض المسرحي إضافة إلى ألوان ملابس هذه الشخوص والإضاءة المختلفة الألوان وحسب متطلبات الإخراج المسرحي، ينتج من هذا مايلي:

لقد اشتركت كل من الفنون التشكيلية وملحقاتها من التصميم والألوان وحركات التصميم الناطقة من خلال الحركات التعبيرية والرمزية والموجودة في هذا التصميم، والفنون المسرحية بالشخوص وبالملابس –كما ذكرنا آنفا– وبألوانها وتكييف حركات وانتقالات الممثلين وخلق عملية توازن المنظور المسرحي، وخلق علاقة مع التصميم التشكيلي للديكور، مجسدين فكرة النص إضافة إلى مساعدة توصيل الأجواء التي يبغيها العرض المسرحي، كل منهما (الفن التشكيلي والفن المسرحي) يؤدي وظيفته وبموجب ماجاء من وحي الفنان التشكيلي"[124]

يرى التشكيلي عبيد سرور أن الفنون جميعها مترابطة ومتداخلة مع بعضها بعضا، كما هي أعضاء الجسم، وأن دلالة أي عمل فني لا يمكن فهمها من دون توفر ثقافة معرفية بمعنى الفن وملمحه البصري، وتلك العلاقات التي تشكل في مجملها رؤية جمالية، تعيد صياغة العالم وفق غنائية يمكن تلمسها من خلال التناغم البصري والتشكيلي، كما هو حال العلاقة بين المسرح ومفردات السينوغرافيا واللوحة التي يتداخل فيها اللون والرمز والإيحاء وهكذا.

اعتبر الناقد التشكيلي وليد توفيق أن ثمة علاقة جدلية بين التشكيل والمسرح مترابطة بتناغم وإيقاع، قلما يصل المتلقي غير الباحث في هذا المجال إلى فهم هذه الحتمية، حيث المكان والتفاعل، ورجع توفيق إلى ما قبل التاريخ حيث المكتشفات الفنية في المغاور والكهوف، واعتبرها خير دليل على هذه العلاقة، فحيثما وجد الإنسان وجد الفن كرافعة للتمعن في المطلق والمجهول، والخوف من القوى الغامضة والإنفعالات ما أدى بالإنسان للجوء إلى السحر والشعوذة والأسطورة، ورأى توفيق أن علاقة الإنسان بالمسرح بدأت قبل التاريخ، وتجلى ذلك في الرسم عند الفراعنة، حيث ظهرت حالات مسرحية راقية، بدأت بتكوين أماكن خاصة للهو والمرح، حيث الأعمال البهلوانية في جو مسرحي مثير، يتداخل فيه التشكيل مع الألوان والإنارة، فبدا المكان كوحدة متكاملة تثير الإعجاب[125].

3- العلاقة بين الفن التشكيلي والمسرح:

عند الحديث عن العلاقة بين الفن التشكيلي والمسرح فإننا نتحدث عن علاقة تنوعت وتباينت في عدة أشكال بين مباشرة وأخرى ضمنية، وبين علاقة ذات دلالات عميقة وأخرى سطحية، فعلى الرغم من مر العصور واختلاف الثقافات وتطورها وتراكمها إلا أننا نجد التواصل دائم بين التشكيل والمسرح والعلاقة قائمة على مختلف مستوياتها، وهذا ليس بغريب فهما في مركب إبداعي واحد، وهما يمثلان تعبير عن حس فني أو قضية إنسانية أو فكرية تتعدد مخرجاتها بين لفظية وبصرية وحركية، وتتوحد في رسالتها وصياغتها، ومفرداتها بين الكتلة والفراغ و بين الظل والنور.[126]...

مصطلح السينوغرافيا من المصطلحات الحديثة في الخطاب المسرحي العربي بشقيه الإبداعي والنقدي؛ فقد بدأ تداوله من طرف المسرحيين العرب في ثمانينيات القرن الماضي.ولعلّ أوّل من استخدمه مسرحيو المغرب العربي بحكم اتّصالهم الوثيق بالثقافة الفرنسية. ثمّ بدأ استخدامه تدريجياً في أنحاء أخرى من العالم العربي. وقبل أن نقدّم إضاءة لهذا المصطلح ونقف عند حدود مفهومه.نحاول في البدء الكشف عن أصوله في المسرح وارتحالاته نحو مجالات أخرى عبر الأزمنة.

اشتُقّ مصطلح "سينوغرافيا" من الكلمة اليونانية"Skênographia" التي تمّ نحتها من كلمتين هما:" Skêne" وهي الخشبة، وكلمة"graphikos" وتعني تمثيل الشيء بخطوط وعلامات، ويُضاف في اللغة الإنجليزية إلى كلمة "سينوغرافيا" تعبير (Set Design) أي تصميم الخشبة. وفي العهد اليوناني اعتبَر (أرسطو/(Aristote (322 -384ق م) المناظر وتجهيزات الخشبة أحد المكوّنات الستّة للتراجيديا، وإن كانت أقلّها أهمية، حيث يقول في هذا الصدد: « صناعةُ المسرح هي أدخل في تهيئة المناظر من صناعة الشّعر(...) والمنظر، وإن كان ممّا يستهوي النفس فهو أقلّ الأجزاء صنعةً وأضعفها بالشّعر نسباً ». و في القرن الخامس قبل الميلاد كانت هذه الكلمة تُحيل على معنى فنّ تزيين واجهة الجزء المخصّص للتمثيل بعوارض مرسومة تُمثّل مناظر طبيعية أو معمارية تدلّ على مكان الحدث. وفي عصر

النهضة في إيطاليا صارت الكلمة مفردة من مفردات فنّ العمارة، ودلّت على "المنظور" وهو أحد الرسوم الثلاثة التي كانت تُقدّم للبنّاء قبل أن يشرع في البناء إلى جانب "المسقط" و"الواجهات". وعندما أصبح تحقيق "المنظور" هو الأساس في تصميم الديكور المسرحي في عصر النهضة والقرن السابع عشر، انتقلت كلمة "سينوغرافيا" للدلالة على فنّ تحقيق المنظور بالرسم في ديكور المسرح واستُبدلت تدريجياً بكلمة "ديكور" .

توسّع مدلول الكلمة في العصر الحديث، وتجاوز دلالة مصطلح "الديكور"، فإذا كان مجال "الديكور" هو ما يوجد على الخشبة حصراً، فإنّ "السينوغرافيا" صارت تختصّ بالبحث في علاقة (الممثل والمتفرج) بالفضاء المسرحي، وعلاقة كلّ المفردات المسرحية ببعضها بما فيها الخشبة ومكان المتفرج . ومع منتصف القرن العشرين ظهر مفهوم "التجريب/Expérimentation" في مجال المسرح، و أفرز العديد من المفاهيم والأطروحات الجديدة حول تنظيم الفضاء المسرحي، قام بالتنظير لها مجدّدو القرن العشرين من أمثال (أدولف آبيا/1862 -1928)(A.Appia)، و(غوردن كريغ/ 1872- 1966)(G.Craig)، ابتغاء إعداد الفضاء المسرحي وإعطائه مسحة تشكيلية. وهو ما غيّر النظرة إلى هذا المفهوم من مجرد عنصر مكمّل في العرض المسرحي إلى عنصر محرّك له، وحامل رئيس لدلالته.فتتوجّه السينوغرافيا – تبعاً لهذه الرؤية – من العناية بالتكوينات البصرية والعلاقات المكانية الناشئة في هذا الفضاء، والكُتل المتحركة فيه(الممثل، الضوء، اللّون، الديكور..). وبهذا أصبح مصطلح "السينوغرافيا" يحيل على مفهوم « تنسيق الفضاء المسرحي والتحكّم في شكله، بهدف تحقيق أهداف العرض المسرحي الذي يُشكّل إطاره الذي تجري فيه الأحداث». و هناك تحديد أكثر دقّة تمّ فيه مراعاة عنصر المتلقي في الدلالة المعاصرة لهذا المصطلح، وهو أنّ السينوغرافيا «عملية تشكيلٍ بصري/صوتي لساحة الآداء التي يُشارك المتلقي في تشكيلها بوجوده وخياله، فهي عملية إرسال مركّبة تُقابلها وتكمّلها عملية قراءة مركّبة يقوم بها المتلقي». ويقوم مبدع هذه العملية (أي السينوغراف) باستثمار تقنيات الديكور، الإضاءة، الأزياء، اللّون، الفراغ، الحركة، الكتلة، الصوت،...ليُشكّل من معطياتها، وفق رؤية موحّدة، تكوينات بصرية– مشهدية تنطوي على علامات مكانية وزمانية ذات قدرة على التوليد الدلالي.

مهام السينوغرافيا اليوم ورهانات المستقبل:

إذا كانت الصورة السينوغرافية « ترتكز على تأثيث الفضاء سيميائياً وأيقونياً، وتحويله إلى تحفة تشكيلية بصرية لونية وجسدية وضوئية وإيقاعية. ومن هنا، فالصورة السينوغرافية هي صورة مشهدية كبرى تشمل على مجموعة من الصور المسرحية الفرعية كالصورة اللّونية (الأزياء، والماكياج، والتشكيل...). والصورة الضوئية (الإضاءة...). والصورة الإيقاعية الزمنية (الموسيقى...). والصورة الجسدية (الرّقص والكوريغرافيا، وحركات الجسد...). والصّورة الفضائية (تقسيم الخشبة وتوزيعها...) ».فإنّ وظيفتها الأساسية تنحصر في الوقت الراهن في « إعادة تشكيل الفضاء المسرحي، وإخفاء الحدود بين الركح والجمهور، ثمّ السعي إلى تأسيس علاقة مكانية وبصرية بين الدراما والمتلقي، والعمل على توسيع الصورة والمكان المسرحي التقليدي بالاتجاه نحو التراكيب والأشكال والأحجام المستقلة المتحركة التي تُسهم في

التعبير الدرامي، فالتنوّع اللامحدود واللانهائي للعمل السينوغرافي انطلاقاً من الفراغ، هو تنويع صور الفراغ وتوسيع مجالات الحركة فيه، لأنّ كلّ شيء فيه يمكن هندسته وبناؤه».

ووفقاً لهذا الطّرح تصبح الخطّة القبْلية التي كان يعمل وفقها الديكور قديماً مرفوضة بالنسبة للسينوغرافيا لأنها خطّة جاهزة تحيل على دلالة منتهية وتابعة لباقي الدلالات التي يعمل العرض المسرحي بكلّ مفرداته على خلقها وتوليدها ولا يُشرَكُ المتلقي في فعلها لأنه لم يكن حاضراً لحظة تصميمها؛ ذلك أنّ «البناء القبلي مرفوض، أما ما هو بعدي فهو فنون السينوغرافيا التي تصير بالنسبة للمتلقي إمكانات بصرية تخييلية ومتلفّظة تجعله يشتغل على ما يرى ويسمع ليملأ الفراغ بحيوية خياله».هنا تتجلى الفروق الواضحة بين مفهوم"سينوغرافيا" ومفهوم "ديكور"؛ فإذا كان الديكور– في المسرح – في الماضي يقوم على استثمار إمكانيات الرّسم في تحقيق "الإيهام/Illution".فإنّ فنّ السينوغرافيا اليوم يقوم على استثمار الفضاء المسرحي كفراغ من أجل إعطاء المسرح بُعداً شعرياً.وتطبيقاً لهذه الرؤية الجديدة، استثمر المخرج الروسي" ڤسيڤولود ميرخولد/1874)"V.Meyerhold– 1940) النظرية البنائية التي تقوم على استثمار تناغم الخطوط الأفقية والعمودية في فراغ الخشبة للتوصل إلى شكل عرض يقوم على رفض الإيهام.كما فتح الروسي "ألكسندر تايروف/1885– 1950)"A.Tairov) – بالتعاون مع الرسّامين في المسرح– الباب أمام توجّه جديد ظهر في ألمانيا وتجلى بأعمال مدرسة "الباوهاوس/Bauhaus"، التي عمل القسم المسرحي فيها على تطوير التجريب حول العلاقة بين الألوان والأشكال، وكان له الفضل في تطوير النظرة إلى سينوغرافيا المسرح.

وفي السنوات الأخيرة اتّسع مجال السينوغرافيا عالمياً، فتجاوز نطاق المسرح إلى كلّ ما يدخل في إطار تصميم الفراغ وأساليب استثماره في المعارض والمتاحف والعروض المُبهرة والاحتفالات الجماهيرية مثل افتتاح الأولمبياد على سبيل المثال. أمّا في العالم العربي فمازالت السينوغرافيا كاختصاص مستقلّ معماري وتقني له علاقة بالمسرح، في خطواتها الأولى بل وتكاد تكون مجهولة. وليس من المبالغة في شيء أن نقول أنها مازالت في طور الحبو تحاول أن تتلمس طرق نهوضها في غمرة التنظيرات الغربية المتراكمة وما يعتورها من إشكالات.

تُراهن السينوغرافيا على «ترويج ثقافة بصرية لا كلامية، إنها رهاناتٌ مشروطة بـ "التحيين الإخراجي" وبإثراء الفضاء بتعدّد زوايا النظر والمشاهدة بعيداً عن "مادية النصّ".إنها تريد أن تجعل العرض مسكوناً بالعديد من الإيحاءات التي تخترق فضاء الركح وجغرافيته باستحداث فضاءات أخرى داخل هذا الفضاء الهندسي وقد تراكبت فيه مجموعة من الأنظمة الإشارية».[127]

تقنية السينوغرافيا:

ارتبطت جذور تقنية مفردات السينوغرافيا بجذور عناصر الفنون التشكيلية والفنون الدرامية لتتوحد في تكامل فضاء العرض المسرحي بعد تواجد فنان مصمم السينوغرافيا الذي لا تقل أهمية ومكانته عن مهمة المخرج لأنهما يكونان متلازمان ومتوازنان طوال مدة إنجاز العرض فالأول مهمته قيادة الممثلين في تحديد نوعية التمثيل والأفعال الحركية والدرامية والأماكن التي يتحرك بها الممثل على الخشبة بين مفردات الديكور التي صممها واختارها السينوغرافي الذي يساهم في تشكيل مساحة التمثيل عند تحديد الأماكن الشاغرة أو المتبقية من مساحة الخشبة التي يتم عليها تجسيد الأدوار التمثيلية. ضرورة اتفاق وجهات النظر بين المخرج والسينوغرافي على اختيار نوعية وشكل مفردات المنظر المسرحي لضمان نجاح العرض المسرحي لأن المخرج وحدة غير قادر على إمكانية تجسيد متطلبات تكامل الفضاء المسرحي، فإذا كان المخرج مسؤولاً عن ترجمة كلمات النص إلى مفردات وملحقات الديكور ناقلاً الموضوع والجو الاجتماعي والأخلاقي والتاريخي بشكل منظور، وتتم هذه الترجمة من قبل مخيلة السينوغرافي بلغة السينوغرافيا التي تلعب دوراً مهماً في طرح حوادث الموضوع الذي يحتويه النص من خلال الاعتماد على تقنية عناصره المرئية من (ملحقات الديكور والإضاءة والملابس والمكياج.) مهمة عناصر السينوغرافيا لا تنحصر في تشكيل وتزيين الفضاء المسرحي فحسب بل تتعداه إلى الحساب من الجمهور والاهتمام به والتقرب منه لأنه هو المراقب والحكم على نجاح العرض المسرحي أو فشله، ولاسيما التخطيط المعماري لطراز وملحقات بناية المسرح الداخلية بكاملها بما فيها خشبة العرض وقاعة المتفرجين لأن الملامح المعمارية تحدد العلاقة بين خشبة العرض وقاعة المتفرجين[128].

خاتمة:

بهذا تتضح لنا العلاقة الكبيرة والأساسية بين الفن التشكيلي والمسرح ، التي أصبحت تكاملية، بحيث لا نتتصور عرض مسرحي حديث يخلو من قيم تشكيلية عديدة، إن لم يوجد الفنان التشكيلي بين أعضاء الفريق المسرحي لكي يخرج العرض بصورة متسقة فنياً وبصرياً وموضوعياً ، فإلى أي مدى ستصل العلاقة بين التشكيل والمسرح ؟ وهل ستصل بنا هذه العلاقة إلى العرض الكامل الذي يتخطى الحواجز بين الفنون بمختلف أطيافها وينبض بروح واحدة في فضاء واحد أو فضاءات متعددة ؟ هذا ما تحاول السينوغرافيا تحقيقه في المسرح.

الهوامش:

1 – صادق ابراهيم صادق، المسرح و جدلية التشكيل، واتا ، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، يوم: 2011/03/06، الساعة: 05 و 24 د.

2 – عثمان حسن، جدل المسرح والتشكيل، ملحق الخليج الثقافي ،الجمعة 18 محرم 1440 هـ، 28سبتمبر 2018 م

3- عبد الله دسمال الكواري، علاقة الفن التشكيلي بالسينوغرافيا في المسرح، بوابة الشرق الإلكترونية، الإثنين 20-10-2014 الساعة 12:22 958

4 – عثمان حسن، جدل المسرح والتشكيل، ملحق الخليج الثقافي الجمعة 18 محرم 1440، 28سبتمبر 2018 م.

5 – ينظر: فيصل خالد الخديدي، ملتقى رابطة الواحة الثقافية، ورشة العمل المسرحي بالطائف أنموذجاً

6 –ينظر: صورية غجاتي، الصّورة في المسرح – التشكيل السينوغرافي في المونودرام المسرحي "حمق سليم"(*) لعبد القادر علّولة أنموذجاً الملتقى الدولي "واقع الجماليات البصرية في الجزائر" المنعقد بكلية الفنون/جامعة مستغانم في 11/ 12 نوفمبر 2014

7 – ينظر: طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، كلية الاعلام- الجامعة العراقية/ مجلة الجامعة العراقية ع: 36/ 2

8 – ينظر: حنان عبد الحميد العناني- الدراما والمسرح في تعليم الطفل الأردن/ دار الفكر للطباعة ١٩٧٧)ص 49

المصادر والمراجع:

1- حنان عبد الحميد العناني- الدراما والمسرح في تعليم الطفل الأردن/ دار الفكر للطباعة ١٩٧٧ . 2- صادق ابراهيم صادق، المسرح و جدلية التشكيل، ، واتا ، الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، يوم: 2011/03/06، الساعة: 05 و 24 د.

3- صورية غجاتي، الصّورة في المسرح – التشكيل السينوغرافي في المونودرام المسرحي "حمق سليم"(*) لعبد القادر علّولة أنموذجاً الملتقى الدولي "واقع الجماليات البصرية في الجزائر" المنعقد بكلية الفنون/جامعة مستغانم في 11/ 12 نوفمبر 2014.

4- طالب عبد الحسين، تقنيات سينوغرافيا العرض المسرحي، كلية الاعلام- الجامعة العراقية/ مجلة الجامعة العراقية ع: 36/ 2.

5- عبد الله دسمال الكواري، علاقة الفن التشكيلي بالسينوغرافيا في المسرح، بوابة الشرق الإلكترونية، الإثنين 20-10-2014 الساعة 12:22.

6_عثمان حسن، جدل المسرح والتشكيل، ملحق الخليج الثقافي ،الجمعة 18 محرم 1440 هـ، 28سبتمبر 2018 م.

7- فيصل خالد الخديدي، ملتقى رابطة الواحة الثقافية، ورشة العمل المسرحي بالطائف أنموذجاً

http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa/forumdisplay.p